المحاضرة الأولى

مدخل إلى علوم القرآن

تعريفات موجزة لمصطلحات متعلقة بعلوم القرآن

علوم القرآن -الكتاب

يعتبر ضبط المصطلحات العلمية، وتحديد مفاهيمها، وبيان دلالاتها، ضابطا محكما في حل الإشكالات التي تثيرها هذه المصطلحات؛ بناءً على تباين مدلولاتها اللغوية واختلاف الرؤى والأفكار، مما يترتب عليه اختلاف في النتائج، وبون في الأحكام.

فمسألة الاصطلاح من أهم المسائل التي ينبغي للباحث أن يحدد معالمها، إذ أن السبب في كثير من الخلافات العلمية يمكن أن يرجع في أحد وجوهها إلى عدم تحديد مفاهيم المصطلحات أو غموضها، قال ابن حزم: "والأصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد؛ اختلاط الأسماء، ووقوع اسم واحد على معان كثيرة، فيخبر المخبر بذلك الاسم، وهو يريد أحد المعاني التي تحته، فيجعله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر، فيقع البلاء والإشكال، وهذا في الشريعة أضرّ شيء وأشدّه هلاكا لمن اعتقد الباطل، إلا من وفقه الله تعالى"[1]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان متشابهة، حتى تجد الرّجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها ولو سئل كلّ منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره، فضلا عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم يلزم أن

(1) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الظاهري، تقديم إحسان عباس، 08 / 101، دار الآفاق الجديدة الطبعة الأولى 1403هـ/1983م .

من خالفه يكون مخطئا، بل يكون في قوله نوع من الصواب وقد يكون هذا مصيبا من وجه، وقد يكون الصواب في قول ثالث"[2].

أولا: تعريف علوم القرآن.

إن تعريف كلّ مركب إضافي يقتضي – أولا – التعريف بجزئيه اللذَين تركب منهما، ثم التعريف به باعتباره مركبا، والمركب الإضافي "علوم القرآن" يتكون من لفظَي "علوم" و"قرآن"، وتعريفهما كالآتي:

01 – تعريف مصطلح "علوم":

أ – تعريفه لغة: مصطلح "علوم" جمع مفرده "علم"، وقد عرفه العلماء تعريفات متعددة، قال ابن فارس: "العلم نقيض الجهل"[3]، وقال الراغب الأصفهاني: "العلم إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه"[4]، وقال الفيومي: "العلم هو اليقين، يقال: علم، يعلم، إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضا"[5].

ب – تعريفه اصطلاحا:

(2) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، 114/12، د ت ط.

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ج: 04، ص: 110، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1979م.

(4) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج: 02، ص: 446، مكتبة نزار مصطفى الباز.

(5) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي ج: 02، ص: 427، دار المعارف، مصر – القاهرة، الطبعة الثانية، د ت ط.

أما باعتبار الإضافة: فهو كل علم يخدم القرآن الكريم أو يستند إليه[6].

وأما باعتباره لقبا: فهو عبارة عن مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه ونحو ذلك[7].

02 – تعريف مصطلح "القرآن":

أ – تعريفه لغة: ورد لفظ "القرآن" بقراءتين صحيحتين متواترتين ثبتت قرآنيتهما عن سيدنا رسول الله ﷺ، **إحداهما مهموزة؛** أي: بقاف مضمومة، بعدها راء ساكنة بعدها همزة، وألف، ونون؛ "القُرْءان"، **والأخرى غير مهموزة؛** أي: بقاف مضمومة بعدها راء مفتوحة، بعدها ألف، ونون؛ "القُرَان".

أما الأولى فهي قراءة الجمهور، **وأما الثانية** فهي قراءة الإمام عبد الله بن كثير المكي وصلا ووقفا، وقراءة الإمام حمزة الزيات؛ وقفا فقط[8].

وقد ذهب العلماء – في الأصل الاشتقاقي لكلمة "قرآن" – إلى مذهبين:

المذهب الأول: لفظ "القرآن" مصدر من الفعل "قَرَأَ"، ويحتمل معنيين اثنين:

الأول: أن يأتي بمعنى "تلا"، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة: ١٧ – ١٨، والقراءة أو التلاوة هي ضم الحروف بعضها إلى بعض في النطق.

---

(6) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ج: 01، ص: 24، دار المعرفة، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1420هـ/1999م.

(7) المرجع نفسه، ج: 01، ص: 28.

(8) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، لعبد الفتاح القاضي تحقيق أسامة هيثم عطايا، ج: 01، ص: 105، دار البيروتي، دمشق، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م.

الثاني: أن يأتي بمعنى "جمع"، ومنه "القرية"؛ سميت كذلك لاجتماع الناس فيها ويقال: قرأ الماء في الحوض؛ أي: جمعه فيه، وروعي في هذا المعنى أنّ القرآن الكريم جمعت آياته وسوره، وجمعت فيه الأحكام والقصص ونحو ذلك.

المذهب الأول: لفظ "القرآن" مصدر من الفعل "قَرَنَ"، ويحتمل معنيين اثنين:

الأول: أن يأتي بمعنى "ضَمَّ"، يقال: قرن بين شيئين؛ أي: ضمّهما، ومنه عقد القران بين الزوجين، ومنه أيضا: القِرانُ؛ الذي هو أحد أنساك الحج الثلاثة، لأن القارن يجمع بين العمرة والحج في إحرام واحد.

الثاني: أن يأتي بمعنى "القرائن"، جمع "قرينة"، لأن القرآن يصدق بعضه بعضا، ويشبه بعضه بعضا[9].

وذهب الإمام الشافعي إلى أن لفظ "القرآن" غير مشتق، إنما هو اسم علم على كلام الله تعالى، مثل التوراة، والإنجيل[10].

ب – تعريفه اصطلاحا: إن الناظر في مصادر علوم القرآن وغيرها من الكتب التي تناولت تعريف القرآن الكريم؛ يجد أن العلماء قد وضعوا للقرآن الكريم تعريفات مختلفة، كالغزالي في المستصفى،، وابن السبكي في جمع الجوامع، والزركشي في البرهان والشوكاني في إرشاد الفحول، وغيرهم من الأئمة الأعلام، ومن أحسن من نظر في هذه التعريفات وناقشها، واستخرج منها التعريف المختار هو الدكتور عبد الحليم قابة ولذلك آثرت أن أعتمده دون غيره، لأنه تعريف جامع مانع، اقتصر فيه

(9) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج: 05، ص: 76-80.

(10) مباحث في علوم القرآن، للدكتور محمد دراجي، ص: 18، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى 1431هـ/2010م.

على ما يفي بالغرض، من تعريف القرآن الكريم وتمييزه عن غيره مما يشتبه به كالكتب السماوية والأحاديث القدسية، وهو كالآتي:

"هو كلام الله تعالى؛ العربي المعجز، المنزل –بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام– على رسول الله محمد ﷺ بأحرفه السبعة، لفظا ومعنى المحفوظ في الصدور والمكتوب في المصاحف العثمانية برسم يحتمل ما بقي من أحرفه السبعة وقراءاته المتعددة والمنقول إلينا بالتواتر، والمتعبد بتلاوته والمفتتح بسورة الحمد والمختتم بسورة الناس"[11].

محترزات هذا التعريف:

لا شك أن بعض جزئيّات هذا التعريف تعتبر قَيْدا يمنع دخول معانٍ أخرى في تعريف القرآن الكريم، وهي كالآتي:

– **قوله:** "كلام الله"؛ منع دخول كل كلام سوى كلام الله تعالى، ككلام الملائكة والأنبياء، والرسل، والجن، والإنس.

– **قوله:** "المنزل"؛ منع دخول كلام الله تعالى غير المنزل، كالأوامر التي تعطى للملائكة.

– **قوله:** "على رسول الله محمد ﷺ"؛ منع دخول كلام الله تعالى المنزل على الأنبياء السابقين، والمتمثل الكتب السماوية السابقة؛ كالتوراة والإنجيل، وغيرهما.

– **قوله:** "المتعبد بتلاوته"؛ منع دخول كلام الله تعالى غير المتعبد بتلاوته، كالأحاديث القدسية، والقراءات الشاذة.

(11) عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، تاريخها ثبوتها حجيتها وأحكامها، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى بيروت لبنان، 1999م، ص: 22.

ثانيا: تعريف الكتاب.

يعتبر هذا الاسم من أشهر أسماء القرآن الكريم، وهو في المرتبة الثانية – بعد اسم "**القرآن**" – من حيث الشهرة والاستعمال، وقد ورد في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ ﴾ البقرة: ٢، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ المائدة: ٤٨، كما ورد أيضا مقرونا بلفظ "**القرآن**"، من ذلك قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ ﴾ الحجر: ١ وقوله تعالى: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ١ ﴾ النمل: ١.

والكتاب في الأصل مصدر ثم سمي المكتوب فيه كتابا، وهو اسم للصحيفة مع المكتوب فيها، قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ النساء: ١٥٣، أي: صحيفة فيها كتابة، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ ﴾ الأنعام: ٧ [12].

(12) المفردات للراغب الأصفهاني، ج: 02، ص: 546-547.

وفي لفظ "**الكتاب**" معنى الجمع، لأنه مأخوذ من الكَتْبِ؛ وهو ضم أديم إلى أديم بالخياطة، ولأن الكتابة تجمع الحروف في الخط، وسمي القرآن بذلك لأنه يجمع في ثناياه الأحكام والقصص والآيات والسور.

والناظر في الاسمين؛ "**القرآن**" و"**الكتاب**" يجد أنهما يرجعان إلى أصل واحد؛ وهو الجمع، فالقراءة هي جمع الحروف بعضها إلى بعض في النطق، والكتابة هي جمع الحروف بعضها إلى بعض في الخط، قال الدكتور محمد عبد الله درّاز: "روعي في تسميته قرآنا؛ كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا؛ كونه مدونا بالأقلام فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا"[13].

(13) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، للدكتور محمد عبد الله دراز، اعتنى به وخرّج أحاديثه عبد الحميد الدخاخني، ص: 05-06، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1417 / 1997م.